

قيمة الزمن في ضوء القرآن والسنة وأسباب ضياعه ودفعها أثناء المراحل الدراسية

The value of time in the light of the Qur'an and Sunnah and the reasons for losing it and paying it during the study stages

الدكتور محمد نعمان خالد

أستاذ مساعد في جامعة الغزالي (Al-Ghazali University) ، كراتشي

الدكتور محمد عمر فاروق

أستاذ مساعد في قسم الدراسات الإسلامية، بجامعة القادر (Al-Qadir University).

جهلم

Abstract

God Almighty created man for his worship and for his knowledge only, which is the purpose of his life and the aspiration of his vision in the transient life. Good and evil, benefit and harm are in his choice and with his will, so a person must evaluate his time and appreciate it according to his right and spend the money of his precious life and his precious times to seek God's face, and if he does not do that, time is a cutting sword that cuts him immediately and does not feel the mark of a killer that kills him and does not know. And as for what is happening in this for a period of time among students, they waste their time in preoccupations that are harmful to their studies, rather their health and their future as well, and they do not care about this at all, and they are in heedlessness and exposed. How do they have machines and means such as the mobile phone and the social media that it contains, and it is as it was said: its sin is greater than its benefit. You can see that the people responsible for this field have drowned in the seas of confusion, not finding the real and sufficient solution to this problem. In these lines you will find the solution to this great problem in the current era in the light of the Qur'an and the Sunnah, God willing.

Keywords: Importance of time, Quran, Sunnah, Great Ulama, The harm of speaking too much, Backbiting, Use of Mobile Phone Device.



قيمة الزمن في ضوء القرآن والسنة وأسباب ضياعه ودفعها أثناء المراحل الدراسية

الحمد لله الذي خلقنا البشر والإنسان، وعدلنا وسؤنا بتدبير الحكيم و السلطان، ونور قلوبنا بنور الإيمان و الإيقان، و سطر صدورنا بضوء السنة و القرآن، و فصل الحق و الباطل بتنزيل الكتاب و الفرقان، و منحنا شرف المثل بين يديه على سائر الأمم بالمرن و الإحسان، و الصلاة و السلام على سيد البشر محمد ﷺ الذي بعث إلى كافة الإنس و الجن، فنزول الرحمة عليه ألف مليار في كل لحظة وأن، ولأله وأهله مصاحبة الرفيق الأعلى و الريحان، و عُقر لتمام أمته السادة بالمغفرة و الرضوان.

أما بعد: إن الله تعالى خلق الإنسان لعبادته و معرفته فقط، وهو مقصد حياته و مطمح نظره في الحياة الفانية، من نال مقصده فاز فوزا عظيما، و من فقده فقد خاب و خسر خسرا مبينا، و الحياة عبارة عن الزمن، و الزمن يستمر دائما، ليس له التبرص و الانتظار، فاستعماله بيد الإنسان خيرا و شرا، و صرفه في النفع و الضرر في اختياره و بمشيتته، فلا بد للإنسان أن يقوم وقته و يقدره حق قدره و ينفق نقود حياته الثمينة و أوقاته الغالية لا بتغاء وجه الله، و إن لم يفعل ذلك فالوقت سيف قاطع يقطعه على الفور ولا يشعر و ستم قاتل يقتله ولا يعلم.

و اما ما يجري في هذا لزمان بين الطلاب هم يضيعون اوقاتهم في مشاغل مضرة لدراستهم بل صحتهم و مستقبلهم ايضا ، و لا يبالون هذا اصلا و قطاعا ، و هم في غفلة معرضون- كيف و معهم آلات و اسباب مثل الجوال و ما فيها من وسائل التواصل الاجتماعي و هي كما قيل: اثمها أكبر من نفعها - يمكنك ان ترى الاشخاص المسئولين عن هذا المجال قد غرقوا في بحار الحيرة لا يجدون الحل الحقيقي و الكافي لهذه المشكلة ، فهذه السطور ستجد فيها حل هذه المشكلة العظيمة في عصر الراهن في ضوء القرآن و السنة باذن الله تعالى جل مجده.

اولا نقول بعض الكلمات في اهمية حفظ الوقت ثم بعد ذلك نسوق بعبارات حول حفظ اللسان لانه اعظم وجه لحفظ الزمن و اما ما يتعلق بالوقت فلا شك في أن الإنسان يستعلي المراتب العليا إن اشتغل حياته و قدر وقته، الوقت يمضي كالبرق و يذوب كالثلج عندما تقع عليه أشعة الشمس المتبرقة، لم يفتح نور الصباح بعد الليلة المظلمة و لم يطلع الشمس من الشرق إلا وهي تلعن عند طلوعها(ما من يوم يصبح العباد فيه وهو بنادي) يا بني ادم! إني قد جئت اليوم فلا بد لكم أن تعملوا بعمل أهل الجنة، إني لن أعود أبدا، فمن عمل عملا صالحا و امتأ صحتته بالحسنات دون المعاصي فله الفوز و النجاح، و من عجز عنه و عمل دون ذلك و جمع في صحيفته السيئات دون الحسنات فله الخيبة و الخسران.

حقا ما روى ابن عباس عن النبي ﷺ: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة و الفراغ" رواه الترمذي؛¹ لأن العبد لا يتمكن من العمل إلا إذا كان صحيحا فارغا، أما الصحة فهو أساس العمل و مناط له، عندما يمرض الإنسان يضعف أعضائه و ينكسر جسده و يفتر بدنه و ينتقض شدة عزائمه و ينتهي همته و يضمحل أفكاره و ينحدر تخيلاته، فيشاق العمل في هذه الحالة، فلذا يتحتم على الإنسان أن يغمث الصحة و يستفيد منها و يعمل فيها عملا يفيد في الدنيا و ينفع في الآخرة، أما الفراغ فهو عبارة عن الأوقات الفارغة عن الاشتغال، لأن الإنسان لا يستطيع أن يعمل إلا وهو يفتقر إلى الفراغ و هذه الفرصة الثمينة إلى قيد الحياة فقط، و حينما يأتي اليقين ينتهي هذا الفراغ كما قال الله عز و جل:

﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾²

فلا يمكن الإنسان أن يعمل عملا سواء كان صالحا أو سيئا إذا حان الموت، فمادامت الحياة على كل ذي عقل و شعور الإناية إلى الله لكي لا يتأسف بعده كالحائنين و الحاسرين-

الحمد لله قد خلت كثير من الرجال اغتنموا أوقات حياتهم و اجتهدوا قصارى جهدهم و صرفوا ساعاتهم و لحظاتهم لحصول رضا الله تعالى و سعوا له كل سعيهم بحسب مهمهم مع أنهم كانوا ذوي العيال كثير الأشغال و التجارات و هم أشغال الدنيا و أمور شتى، ولكن هذه الأمور كانت لا تمنعهم من حصول مقاصدهم و تحقيق أهدافهم و عزائمهم، بل إنهم كانوا يؤدون جميع حقوق العباد مع شغلهم في تعليم القرآن و الحديث و الفقه، و أيضا لم يكن لهم وظائف حكومية ولا رواتب شهرية من الحكومة وغيرها، بل كانوا يكسبون المعاش لعياهم في جزء من النهار و ما وراء ذلك من رأس مال الحياة كانوا يصرفونه في طلب العلم و تعليمه و عبادة الله عز و جل، و ينتصبون مصلين قائمين طويلا حتى كان يصيبهم الاتهاب، و يببتون باكين تجاه الله تعالى

أشد البكاء بخوف ورغبة كما نقل المحدثون في أحوال أصحاب رسول الله ﷺ: إنهم كانوا رهبانا بالليل وفرسانا بالنهار، وكانوا يتحدثون بينهم بين الفينة والفينة في أمر مهم محض لا في أمر تافه كغثالة الناس-

ذكر أصحاب التواريخ قصص بعض الرجال النبلاء الذين قسموا وقتهم على ثلاثة أقسام: شطر في حلقات الذكر وشطر في خلوات عبادة الله تعالى والرجوع إليه و المناجاة به، وشطر في ساحات الجهاد في سبيل الله تعالى، مثلا: الشيخ عطاء بن أبي رباح بذل نقود حياته طول العمر بمشقة وتعب وجهد مستمر حتى سما إلى مرتبة لم ينلها في زمنه إلا نفر قليل، وكان زهادا فيما عند الناس ورغابا إلى ما عند الله تعالى حتى إذا جاءه الأجل فكان خفيف الحمل من أثقال الدنيا وكثير الزاد من أعمال الآخرة-

ذات ليلة راه رجل انتصب قائما يصلي ليلا في الخلوة وقال: ما رأيت أحسن من صلواته ولا أكمل ولا أجمل ولا أخشع ولا أطول، بعد الفراغ من الصلاة شرع يبكي بكاء شديدا ويدعو الله تعالى بتواضع كصبي يطلب اللبن من أمه عند شدة الجوع، ولم يزل يبكي حتى خفي النجوم في مضجعها وتنفس الصبح من مطلعها، فلما أصبح سأله الرجل: لماذا تجتهد انتهاء الجهد وينتصب غمرة الانتصاب؟ مع أن الجنة تدرك بأقل مما تصنع والنار تبعد بأقل مما تعاني فأجاب إن الحياة ما أعيرت إلا مرة واحدة ولا تعطى السمات الندية وغيرها حتى يلج الجمل في سم الخياط وإني عزمتم بأن أجبر النفس على عبادة ربي وأكرهها على إطاعته قبل أن ينتهي الحياة الموهوم، ولذا ركبت عليها وأخذت لجامها وما أن كبحت عنانها حتى سقطها في فح عميق وطريق مخوف بالأخطار ليل نهار و لن أتعب حتى يأتي الموت وأرتحل إلى وطني الأصلي، وإن الشيخ لم يهدر رأس مال من عمره في ما لا يعنيه من فضول الكلام والطعام والتنزه والتجول والتحدث فيما بين الناس و لاح نتيجه بأنه ما أن تلمذ على الشيخ الكبار من المفسرين والمحدثين الفقهاء وتلقى عنهم درسهم العلمية والدينية حتى أخذ الناس يتحلقون زمرا زمرا حوله لحصول العلم وصار له شهرة فيما بين العوام والخواص وترحل المطايا إليه من أطراف العالم وأحائه-

ويجدد بنا ويليق بنا أن نذكر ههنا رجلين صالحين عالمين من زمن قريب لكي يتبرك كلامنا بذكرهما:

أحد منهما الشيخ محمد إلياس الدهلوي-رحمه الله تعالى- ولد في الهند سنة "١٣٠٣هـ" في أسرة سعيدة، كان آباءهم تمسكوا بعقيدة التوحيد الخالصة، وعملوا بالكتاب والسنة باستقامة، حتى أنهم كانوا يعرفون في الهند باسم العلماء والصلحاء، وكانوا أكثر احتراماً وإكراماً عند الناس، لأنهم تلمذوا على مسند الهند، إمام العصر الشيخ عبد العزيز الدهلوي-رحمه الله- ابن الإمام الشيخ عبدالعزيز الدهلوي "صاحب حجة الله البالغة" المعروف بالشاه ولي الله الدهلوي-رحمه الله-، كان والد الشيخ مولانا إلياس-رحمه الله- عالماً جيداً متبحراً كثير العبادة، مشتغلاً بمخاصة نفسه-

كان الشيخ محمد إلياس الدهلوي-رحمه الله- قائماً بأقوى الحركات الدينية وهذه الحركة كانت منحصرها عملها ودعوتها في منطقتها فقط في البداية، ولكنها شرت وغربت بعد وفاته لإخلاصه وجهده المستمر ونشرت في أطراف العالم وأحائه؛ حتى أنها قد صارت أكبر الحركات نشاطاً في الأرض، إن الشيخ قد طير نموه، وشغل باله، ووقف حياته لتبليغ المسلمين المشتغلين بأمور الدنيا وزينتها، الراغبين عن الآخرة وأهوالها، غلب عليهم جهلهم المطبق، وأمنيتهم الفاشية، والخضوع للتأثيرات الغربية، كان الشيخ يرسل ففة الناس إلى قرى مختلفة متقاربة ومتباعدة، كان المبلعون ينفقون أموالهم عليهم ويسعون لإقامتهم على أحكام القرآن والسنة، على رغم ذلك أن الناس كانوا لا يسمعونهم حق السماع حق السماع، ولا يلتفتون إليهم أي التفات، ولا يتوجهون توجهاً تاماً، كان المبلعون يعودون أئسين قانطين، ربما تعرضوا للضرب والشتم لتبليغهم إلى رهم- عز وجل-، حتى مضت كثير من السنوات على تلك الحالة، وما تبدل حياتهم وما تغير أحوالهم من المعصية إلى الطاعة إلا قليلاً، ولكن الشيخ ليس في فطرته شيء من اليأس والقنوط بل له همة عالية وفراسة كاملة وطموح إلى الشموخ كسمو النجوم، ولا يزال الجهد والاستقامة لتحقيق مقصده الجليل، لا تحزنه الأحوال الميؤسة، ولا تعوقه الجهود المقنوعة، لأن الله عز وجل قال في كلامه:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^٢

فأخيراً قبل الله تعالى جهد الشيخ في جنبه، وأمال قلوب الناس إليه، واستيقظت نفوسهم، وأدركوا دعوة الشيخ بصميم القلب والروح حتى أن الملايين من الناس تابوا إلى الله تعالى توبة نصوحاً واستفادوا من هذه الجماعة عملاً وروحانية،

قيمة الزمن في ضوء القرآن والسنة وأسباب ضياعه ودفعها أثناء المراحل الدراسية

وعادوا من ظلمات المعاصي إلى نور الطاعة، نَوَّرُوا قلوبهم بنور الحسنات وأعمال الجنة التي قد تسَوَّدت بالسيئات وأعمال أصحاب النار من قبل، فعمل هذه الحركة السعيدة توسع وتيسَّط في المشرقين والمغربين بالتدريج فالحمد لله على ذلك، جزا الله الشيخ مُحَمَّد إِيَّاس الدهلوي -رحمه الله تعالى- عنا وعن جميع المسلمين خير الجزاء- امين

أما الثاني فالشيخ حسين أحمد المدني -رحمه الله- كان وافر المعرفة، واسع العلم، متبحراً، نبيلاً، متورعاً، زاهداً عن الدنيا، وراغباً في الآخرة، كان له التغلغل، واليد الطولى في العلوم الإسلامية، وله التفوق والإتقان في العلوم العالية من التفسير والحديث والفقه وغيرها، سجَّل التاريخ ذكره بلقب "شيخ الإسلام" اليوم، والألسنة تستلذ بتذكرته البهيج، والأذن تحظى باسمه الميمون، والقلوب مشحونة بمحبته، درس "صحيح البخاري" في "دارالعلوم" بديوبند خمساً وثلاثين سنة، آلاف من الناس استفادوا من علمه وعمله وروحانيته وفيوضه وبركاته، لم يسبق أحد في عصره في الروحانية كما قال شيخ الأتقياء أحمد على اللاهوري -رحمه الله تعالى-: إني قد رأيت جميع الأولياء في مكة المكرمة، مانظرت أحداً يسبق على الشيخ حسين أحمد المدني -رحمه الله تعالى- في قرية الله وعرفانه، وأيضاً يدلُّ عليه أنه قد ذهب مرة لزيارة ضريح النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وقال: السلام عليكم يا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فردَّ النبي -صلى الله عليه وسلم-: "وعليكم السلام يا ولدي" فسمع آلاف من الناس هذا السلام السعيد-

كان الشيخ حاملاً لصفات الكمال الغزيرة، ومن الجدير بالذكر ههنا صفتان: أما الأولى فالجاهدة، فإنه قد بذل للخدمة الدين المتين قصارى جهده مدى العمر، وصرف أوقات حياته لنفاذ الشريعة بالجهود الجبارة، وبذل المساعي الجميلة القاهرة بتركيز الجهود بدون ذعر وخوف من أحد، ما اعترى الهلع عليه قط، واستمر في الوقوف ضد الاستعمار وأنكر عليه في خطاباته ومقالاته إنكاراً قويا وعارضة معارضة شديدة وما كان يتجشم وجودها في الهند قط؛ ولذا حُرِّضَ الناس على انتشالها من الهند على الدوام، وقام بالمجاملة بين الشعوب المتنوعة لهذا المطمح بالسعي المتواصل، وكان لا يبالي نومه واستراحته حتى لا يجيد شيئاً من الوقت لقسط من الراحة حتى جاء أمر الله وأثمرت جهوده ثمارها واتت أكلها فانسحب الاستعمار وخرج مدحوراً مطروداً- وأيضاً أنه خدم أستاذه شيخ الهند -رحمه الله تعالى- بشوق ورغبة منقطعة منذ الطفولية إلى الكهولة حتى أنه قد قضي به، سواء كان ليلاً أو نهاراً ومما يجدر ذكره أنه قد غادر المدينة المنورة إلى السجن لخدمته فقط، قدَّم نفسه لرجال الشرطة للقبض عليه، إذا سمع بأن أستاذه قد سجن، وما بالى بترك درس الحديث وفقد عظمته وفخامته عند الناس هناك-

أما الثانية فهو التواضع كان صفة جليلة للشيخ، وكان له حظٌّ وافر من الاستكانة والمسكنة، كان ينظف دورات المياه للطلاب مع أنه كان شيخ الحديث بدارالعلوم، ولذا قال الشيخ أشرف على التهانوي -رحمه الله تعالى-: لكل عالم من علمائنا الأكاير بعض الصفات الخاصة به، وللشيخ حسين أحمد المدني صفتان: التواضع والجاهدة، قد طمت حياته السعيدة بالسنة النبوية، تاقَت نفسه إلى عبادة الله في ضوء النهار وإلى مناجاته المبكية في ظلمة الليل، إذا كان الناس نياماً، فيقوم أمام ربه ويشرع في البكاء والتخضع وإظهار العجز وربما أصبح في هذا الحال-

كان تتفتح أمامه أزهار الدنيا، وتنتشر روائحها الفواحة، ويعبق أريجها العطر بنسمات الهواء المتحرِّكة، ولكن لا التفات له إلى شيء من هذه البهجة، هكذا عاش طول بقائه زهاء ثمانين سنة، حتى استدعاه الله تعالى إلى جنبه القدس، عندما انتشر خبر نعيه ارتفع العويل والضجيج في أنحاء الهند وأطرافه، وصار الناس مغمومين ومبغوتين وامتلأت قلوبهم حزناً وغماً، وغدا الناس إلى بيته من جميع منطقاته فئة ففئة راجلين وراكبين، حتى أصبحت قريته مملوءة ازدحاماً، وكانوا يبكون لهجران شيخ الإسلام وفراقه، لأنهم صاروا محرومين من ظل رجل عبقري كان وجوده رحمة ونعمة عظيمة لمعاشر المسلمين، ماكان أحد من الناس يؤدُّ أن يرتحل الشيخ منهم لكن كان قضاء من الله تعالى قدر لكل شيء تقديراً باتاً لا يتقدم ولا يتأخر، وهو الذي يبدئ ويعيد ويحي ويميت فلله در الشاعر:

نزلنا ههنا ثم ارتحلنا كذا أهل الدنيا نزلوا وارتحلوا

ودَّعه ملايين من الناس إلى حضرة محبوبه جل وعلا، غفر الله له وأنزل عليه الآلاف من الرحمة، وعطف عليه إلى يوم القيمة، واليوم يتلألُ تلامذته في مشارق لأرض ومغربها كالنجوم في السماء، ويبقى ذكره أبداً إن شاء الله تعالى، وفي أمثال

أولئك الرجال قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي

(٣٠)﴾

فالحاصل قد سلف كثير من الناس الصالحين الذين سعوا تحاية السعي للفوز في الدنيا والنجاح في الآخرة، ما غرهم زينة الدنيا وجمال النساء وكثرة ثناء الناس عليهم وكثرة الأولاد والأموال والصفانات الحيات والمزارع الحافلة من النبات، أنهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون ويستعبرون وتنحدر الدموع انحدارا مستمرا حتى بلّلت دموعهم لحاهم خوفا من عذاب الله ورغبة إلى رحمة الله، والله هؤلاء الرجال الذين قد تشرفوا بسعادة الدنيا من مدح الناس والشهرة فميا بينهم واطمينان القلوب و سكن للأرواح واستحقوا بقاء الله تعالى ونعم الجنة الفردوس التي لا انتهاء لها ولا انقضاء ولهم فأكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة، وإهم لم تضجعوا لحظة من حياتهم ولم يعملوا عملا ليس له نفع في الدنيا ولا في الآخرة، لأن الصوفياء قالوا: كل عمل لا يتغى به وجه الله يضمحل ويتلاشى ، وهم عاشوا حياتهم كلها يترقبون الموت ويستعدون للقاء ربه عز وجل، وإذا ما يأتي إليهم الأجل فذاك اليوم هو أسعد الأيام لهم وكانت لهم فرحة شديدة للخروج من حوادث الدنيا إلى طمانينة الآخرة، ولا سواد على وجوههم ولا حزن ولا ملال في قلوبهم تركت الدنيا-

مثل أولئك الرجال يخلقون كبقية من التراب و الماء في العاجلة ولكن بعد برهة يرتحلون حامللي العلم و المعرفة إلى الاجلة، يعيشون كغريب أو عابر سبيل في الدنيا، ويغادرون حافلين بالإنجازات والأعمال الصالحة إلى الآخرة، يتألاً وجوههم تألاً القمر، ويتنور قلوبهم تنور البدر، ويتلقون هدوء البال والحال كالرضيع، ويتسنّ لهم الأفراح والمسرات أكثر من ملوك الدنيا ولكنهم لا يعلمون، ينفجر منهم ينباع العلوم، يتفجر أثمار المعرفة و العلم التي تروي حواف العالم و أنحاءه، يستنير القلوب الصدئة بضوء أشعة عرفانهم، تختتم الظلمات لوجوههم المشرقة الزاهرة الساطعة، هم في الدنيا كالنجم المهادي لإرشاد الناس وهدايتها من ظلام دماس إلى ضئيل مهديّ-

لو طالعنا حياتهم المباركة وتفكرنا في خدماتهم العظيمة للدين المتين فنصل إلى أن كل واحد منهم راقب وقته في كل لحظة واستعمل لسانه وفق ما يتطلب الشريعة البيضاء، ولا يجرى على لسانهم إلا كلمة الخير- أما الذين يضيعون أوقاتهم في ما لا يعينهم ويتكلمون حسب ما يشاء نفوسهم فليس لهم حظ للسعادة الأبدية-

الأوقات الحيوية على ثلاثة أقسام:

الأول: الطفولة، يمضيه الإنسان لايبالي شيئا ولايعلم أنه لماذا حُلق؟ وما هو المقصد لحياته؟ إلا بعض من له حظ وافر من الحسنات ويكون مغبوطا ولا يعرف الصبي خيرا وشرا من من أفعاله وأقواله، ولذا يعمل عملا صالحا مرة وأخرى سيئا، ولذا ما كلف شيئا وما اعتبرت الشريعة الجنائيات التي تتعلق بحقوق الله كترك الصلاة والصوم وغير ذلك، فيمحو الله تعالى شرا من أعماله لطفًا وكرما، يكتب له الملائكة عملا صالحا منها-

الثاني: زمن النوم بعد البلوغ إذا تطرء هذه الحالة على الإنسان، فيغفل عن كل شئ ويلاهي عن جميع ما في الدنيا فحكم هذه الحالة كالطفولية، فرفع عنه القلم في هذه الحالة-

الثالث: حالة الاستيقاظ بعد البلوغ هذا هو الوقت الذي يطالب من الإنسان أن يشغله في عبادة ربه عز وجل وذكره وحصول مرضاته وتقاضى الشرع أن يعمل به لكن المرء يمضيه _إلا من رحم ربك_ في غفلة وملاهاة عن ما يرضى ربنا و يضيع أوقاته في أمور تافهة وما لا يعنيه والنبي ﷺ ويقول:

﴿إن من حسن إسلام المرء، قلة الكلام فيما لا يعنيه﴾

رواه أحمد في مسنده، وهذا حديث حسن بكثرة طرقه وشواهدة وقال جماعة من العلماء هو ثلث الإسلام. نذكر بعض الأسباب لضباغ الوقت لطلبة العلم خاصة وللناس عامة.

السبب الأول:

ما يضيع فيه وقت حياتنا هو كثرة الكلام وما يتعلق به؛ لأن الإنسان إذا يكثر كلامه فيبدر منه كثير من السيئات

قيمة الزمن في ضوء القرآن والسنة وأسباب ضياعه ودفعها أثناء المراحل الدراسية

كالغيبة والكذب والبهتان والنميمة والفحش وفضول الكلام وغير ذلك، سنذكر ههنا نبذة منها:
الحقيقة للكلام العتب:

ما الحقيقة لعبت الكلام؟ كل ما لا فائدة ولا جدوى فيه للإنسان في الدنيا ولا في الآخرة، فهو عتب، فأمر الإنسان عن اجتنابه في كل حالة؛ لأنه إن ذكر ربه بدل كل هذا في هذا الوقت فقد جمع الخزان من الحسنات في صحائف الأعمال، فلذا جاء في الروايات وعيد عن فضول الكلام، وترغيب إلى أن لا يقول إلا خيرا، كما ورد في القرآن الكريم:

{ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد }^٦

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

{ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت }^٧

وروي عن أبي هريرة، قال: "لا خير في فضول الكلام" ٨، وورد الروايات الكثيرة عن الكلام العتب، كما روى الإمام

أبو جعفر الطحاوي عن أنس:

.قال: استشهد منا غلام يوم أحد، فجعلت أمه تمسح التراب عن وجهه، وتقول: أبشر، هنيئا بالجنة. فقال النبي صلى

الله عليه وسلم: "وما يدريك؟ لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه، ويمنع ما لا يضره" ٩

فعلم أن العتب من الكلام يحجز الإنسان من الجنة ويصدّه عن حصول المقصود-

ضرر كثرة الكلام:

السبب الكبير لضياع الوقت لطلبة العلم هو كثرة الكلام، له مضرات كثيرة، سنذكر نبذة منها، فاعلم أن القلب يسود بكثرة الكلام، ويفقد استعداده لاستجابة الحق والتأثر به، حتى أنه لا يميّز الخير من الشر والحسنة من السيئة، فحينما يعمل عملا ماشاء قلبه بدون تفكير و تدبر وغير مبالاة بالشرعية والإسلام، حتى أن صحفه تمتلئ من السيئات والكبائر، فلذا قد جاء في القرآن

{ لا خير في كثير من نجوئهم }^{١٠}

أما من يجعل السكوت وطيرة لحياته الثمينة فيفوز في الدنيا والآخرة بشرط أن يعمل عملا صالحا، ويتقي الكبائر والمعاصي؛ لأن النبي ﷺ قال "من صمت نجبا" ١١ فلا بد للإنسان من أن لا يتكلم إلا بخير أو ليصمت، ورد في بعض الروايات "أن سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه - كان يضع الحجر في فيه لكي يتبته النفس ولا يتحدث اللسان إلا بخير عند ضرورة.

آفات اللسان:

قال الإمام الغزالي-رحمه الله-: عشرون آفة تتعلق باللسان، فإن بيانها لا يمكن استيعابها، فإن المقام لس يسعه ولكن

أذكر الإثنين منها فقط ههنا:

الأولى: أول آفة تعترى الإنسان إذا كثر كلامه هو الكذب، والكذب خصلة شنيعة مذمومة عند هذه الشريعة الحنيفية

الغراء وما قبلها من الأديان والشرائع وإن الله تعالى لعن الكاذبين في الكتاب المبين حيث قال في القرآن { فَتَجَعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ }^{١٢} و ورد في رواية أن النبي الكريم ﷺ قال: «أربعة من كن فيه كان منافقا، أو كانت فيه خصلة من الأربع كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»^{١٣}

لكن قال الإمام الغزالي-رحمة الله تعالى-: الشريعة سمحت الكذب في مواقع الضرورة صورة وهي ستة:

الأول: للمصالحة بين المسلمين إذا لا يمكن الصلح بينهما إلا بشيء من الكذب صورة-

الثاني: المجاهد يمدح الكفار في المقتل بظهور الكذب لكن هذا إذا لم يحصل المطلوب إلا بكلمة الكذب-

الثالث: يسمح للزوج أن يكذب لإرضاء الزوجة؛ لأن التفرق بين الزوجين أبغض المباحات عند الله تعالى فلذا أن

السحر حرام شرعا إذا كان يفرق به بين المرء وزوجه-

الرابع: المظلوم يمكنه أن يظهر كلمة الكذب بين يدي الظالم لحفاظة ماله أو مال غيره كما إذا أودع إليه رجل وديعة وطلب منه الظالم فيجوز له الكذب لوقاية المال-

الخامس: قال العلماء: إن الانسان لا يفشي فسقه وفجوره بل يسره؛ لأن إظهار المعصية لا يجوز شرعا- فلا يخفاء الإثم سعة له بارتكاب الكذب-^{١٤}

التنبيه: ومن الجدير بالذكر أن العلامة ابن عابدين الشامي رحمه الله قال: لا يكذب رجل صريحا عند الضررة أيضا بل يورّي ويعرض وهو أن يريد المتكلم ما هو خلاف المتبادر من كلامه فهو أولى من الكذب الصريح فافهم؛ لأن الكذب الصريح حرام بنص قطعي-^{١٥}

الثانية: الغيبة هي عادة مهلكة لصاحبها دنويا وأخرويا لأنها توصل الإنسان إلى الذلة في الدنيا و الهلاك في الآخرة، و يصير مغضوبا عند الله ومبغوضا عند الناس، ويتأثم إنمّا كبيرا ويحمل وبالا عظيما ولذا قال النبي ﷺ الغيبة "أشدّ من الزنا"؛ لان الزنا و إن كان أقيح من الغيبة عند الناس والشرع ولكن الزاني يندم قلبه بعد ارتكابه وهذه الندامة تجبره على التوبة والتوبة تنقيه له من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس كما ورد في الحديث: التائب من الذنب كمن لا ذنب له^{١٦}.

أما الغيبة فلا يبالي مرتكبه بأنه ارتكب الكبيرة أو لا، ولذا يغتاب الرجل بلا مبالاة و بلا خوف من أحد، فلا يوفق التوبة إلى الله عز وجل، وإذا لم يتب فيسودّ قلبه بالمعصية الكبيرة-

ما هي الغيبة؟ هي أن يبين الرجل عيب أخيه خلف ظهره، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة، أنه قيل: يا رسول الله -ﷺ-، ما الغيبة؟ قال: "ذكرك أخاك بما يكره" قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: "إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته"^{١٧}

فاعلم إن كان العيب موجودا في الرجل فهو غيبة وإلا فهو بهتان وأشدّ إنمّا من الغيبة وأقيح معصية منها، أيضا لا فرق بين عيب صغير أو كبير كما جاء في الحديث "ذكرت عائشة ؓ- أنصارية بين يدي النبي ﷺ----- و قالت: هي صغيرة القامة فقال النبي ﷺ: اغتبت أو كما قال عليه السلام.

الغيبة في ضوء القرآن:

ذمت الغيبة في القرآن بشدة حتى قال الله تعالى: "لا يغتب بعضكم بعضا أيح أحكمكم أن يا كل لحم أخيه ميتا فكرهتموه"^{١٨} "قال الألوسي في روح المعاني تحت هذه الآية:

"أيح أحكمكم أن يأكل لحم أخيه ميتا تمثيل، لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه، ومن حيث تعلقه بصاحبه على أفحش وجه، وأشنعه طبعاً، وعقلاً، وشرعاً مع مبالغات من فنون شتى الاستفهام التقريري من حيث أنه لا يقع إلا في كلام هو مسلم عند كل سامع حقيقة، أو ادعاء وإسناد الفعل إلى أحد إيداناً بأن أحدا من الأحدين لا يفعل ذلك، وتعليق الحجة بما هو في غاية الكراهة، وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان، وجعل المأكول أخا لكل وميتا، وتعقيب ذلك بقوله تعالى: فكرهتموه حملا على الإقرار، وتحقيقاً لعدم محبة ذلك، أو لمحبهته التي لا ينبغي مثلها، وفي المثل السائر كني عن الغيبة بأكل الإنسان للحم مثله؛ لأنها ذكر المثالب، وتمزيق الأعراض المماثل لأكل اللحم بعد تمزيقه في استكراه العقل والشرع له، وجعله ميتا؛ لأن المغتاب لا يشعر بغيبته ووصله بالحجة؛ لما جبلت عليه النفوس من الميل إليها مع العلم بقبحها"^{١٩}

فظهر أن اغتياب أحد كتناول لحم أخيه ميتا فلا بدّ للإنسان من أن يكره ويتقي من الغيبة كما استكره لحم أخيه ميتا واستنكره -

صُور جواز الغيبة: وإن كانت الغيبة حراما وممنوعا في عموم الأحوال، لكن الشريعة أجازت الغيبة في بعض المواقع للضرورة:

منها: اغتياب المبتدعة جائز لكن لا للعداوة بل لإظهار البدعة على الناس؛ لكي يتقي الناس منهم ولا يبتلون بما ويجتنبونها-

قيمة الزمن في ضوء القرآن والسنة وأسباب ضياعه ودفعها أثناء المراحل الدراسية

منها: إظهار العيب علي المفتي لحصول الفتوى، كما روي عن عائشة رضي الله عنها: "أنها قالت جاءت هند أم معاوية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن أبا سفيان رجل شحيح وإنه لا يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم فهل علي في ذلك من شيء فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: خذي ما يكفيك وبنيتك بالمعروف"^{٢٠}

منها: يجوز للمظلوم أن يعتاب الظالم عند الحاكم لا الغير؛ لأن الحاكم يدفع ظلمه؛ لما جاء في القرآن لا ﴿لَا يُجِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ﴾^{٢١}

فالحاصل لا ينبغي للمظلوم أن يعتابه عند غير الحاكم؛ لأنه لا فائدة لها فهي داخلية في حقيقة الغيبة.

منها: إن أراد رجل أن يشتري شيئاً من أحد، والأخر يعلم أنه معيب أو فاسد و يتضرر له بالشراء، فسعة له أن يظهر عيبه على المشتري فقط لا على الغير-

منها: إن كان رجل معروف باسم معيوب مثلاً أعرج وأعمش وغيرهما يجوز أن يخبر الرجل أحداً عنه بهذا الاسم؛ لكي يعرفه.

منها: كل عيب لا يكون مبعوضاً عند صاحبه سراً وعلانية يجوز إظهاره مثلاً الخنثى وكذلك الحكم عن الفاسق لكن إذا يبغض عنده لا يجوز إفشائه؛ لأنه غيبة^{٢٢}

السبب الثاني هو استخدام الجوال الذكي:

السبب الثاني الكبير لضياع الوقت هو استخدام الجوال في عصرنا الراهن، استخدام الجوال قد أصبح جزءاً من حياتنا وإنجازاتها، لا يمكننا أن نعيش في المجتمع إلا بالجوال. وفيه كثير من المفاصل المتعلقة بجميع شعب حياتنا حتى لا تعد ولا تحصى، فطلبة العلم يستخدمونه فيضيعون أوقات حياتهم الثمينة برؤية الفيديو وسماع رسالات صوتية، حتى بعض الطلبة لا يبالون وقت الصلاة للاشتغال بالجوال. فلا بد لنا من أن نراقب الطلبة لكي لا يستخدموا الجوال الذكي.

دوافع أسباب ضياع الوقت:

الأول: أهم أمر لدفع هذه الأسباب هو خشية الله، والخوف من عذابه؛ لأن الإنسان إذا تفكّر بأنه سيقوم بين يدي الله عزوجل لحساب جميع أقواله وأفعاله وعزائمهم، فيضطر إلى أن يراقب نفسه ووقته، ولذا قال المشايخ والعلماء: يجب على الإنسان أن يراقب الموت قبل النوم كل يوم، ثم الإنسان لا يشتغل فيما لا يعنيه سواء يتعلق بأقواله وأفعاله وتخيالاته فيحافظ أوقات حياته.

الثاني: لا بد لكل مؤسسة أن تمنع الطلبة لاستخدام الجوال الذكي بين الدراسة بوضع القانون من الإدارة، ومن يخالف هذا القانون فينبغي أن يخرج من الجامعة والكلية والمدرسة. حينما يعمل حسب هذا القانون فسيقل استخدام الجوال.

نتائج البحث:

إن الوقت متاع ثمين في حياة الانسان و ليس نعمة تساوى هذه النعمة التي أنعمها الله على الانسان في القدر و الاهمية، فلا بد للانسان ان لا يضيع و لولحظة و دقيقة في حياته لأنه يحاسب عنه كما قال الله تعالى: ثم لتسفنن يومئذ عن النعيم، و أيضا ورد في الحديث حيث قال النبي ﷺ: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ"، فبناء على ذلك لا بد لنا من ان نتحذر من الأسباب التي تضيع اوقاتنا هي اصل الحياة، لاسيما في مجال العلم و التعلم ، وهناك ذكر أصحاب التواريخ قصص بعض الرجال النبلاء الذين قسموا وقتهم على ثلاثة أقسام: شطر في حلقات الذكر و شطر في خلوات عبادة الله تعالى و الرجوع إليه و المناجاة به، و شطر في ساحات الجهاد في سبيل الله تعالى و بهذا الطريق هم ثمنوا أوقات حياتهم و قد سقنا نبذة من هؤلاء النبلاء و العظماء في بحثنا هذا، فكما انت لاحظت الكلمات و العبارات حول حفظ الزمان و اللسان في سياق إصلاح الشعب بشكل عام و في سياق المؤسسات الدراسية و التربوية بشكل خاص، فيمكننا ان نركي كل عام و خاص و لاسيما الطالبين و الأولاد تركيبة كاملة كما ورد في الايات الكريمة والأحاديث الشريفة بوضوح و صراحة. فيجب على الإنسان أن يثمن أوقاته و يحذر من إضاعة بقدر الاستطاعة، و في جانب آخر ما يضيع فيه وقت حياتنا هو كثرة الكلام و ما يتعلق به؛ لأن الإنسان إذا يكثر كلامه فيبدر منه كثير من السيئات كالغيبة والكذب والبهتان والنميمة والفحش وفضول الكلام فيلزم علينا

ان نحى السنما مما لا يعينيه خصوصا من الغيبة في كل حالة ويتحاشى عنها في الخلوة والجلوة وأيضا أن الغيبة كأكل لحم أخيه ميتا كما مرّ أنفا، حينما يستحضر الإنسان وخيمة الغيبة، ييغضها تلقائيا إن شاء الله تعالى، الله سبحانه وتعالى يوفقنا أن نتقي جميع الذنوب و المعاصي وهو المستعان-

هذا وبالله التوفيق



This work is licensed under a [Creative Commons Attribution 4.0 International License](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

الهوامش (References)

^١ سنن الترمذي محمد بن عيسى بن سؤرة الترمذي (المتوفى: ٢٧٩هـ) ت شاکر (٤ / ٥٥٠) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر-

Al-Tirmazi, Muhammad Bin Esa, Al-Sunan, V:4, P: 550, P, Mustafa Albabi Alhalabi Company

^٢ سورة المنافقون: ١١

Al-Quran, 63:11

^٣ سورة العنكبوت: ٦٩

Al-Quran, 29:69

^٤ سورة الفجر: ٢٩

Al-Quran, 89:29

^٥ مسند أحمد (٣ / ٢٥٦) لابی عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (المتوفى: ٢٤١هـ) ط: مؤسسة الرسالة-

Ahmad Bin Hanbal, Abu Abdullah, Musnad e Ahmad, V:3, P: 256, P, Mu'assasatur Risala

^٦ سورة ق: ١٨

Al-Quran, 50:18

^٧ صحيح البخاري (٨ / ١٠٠) لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، دار طوق النجاة-

Bukhari, Muhammad Bin Ismail, V:8, P:100, P, Dar Tauqun Najat

^٨ مصنف ابن أبي شيبة (١٣ / ٣٥١) لابی بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي- الدار السلفية الهندية القديمة.

Al Absi, Abu Bakar Abdullah Bin Muhammad Bin Abi Shaiba, Musannaf,
V:13, P:351, P,Al-Darus Salafia

^٩ شرح مشكل الآثار (٢١٠ / ٤) لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي المعروف
بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ) ط: مؤسسة الرسالة.

Al-Tahavi, Ahmad Bin Muhammad, Sharah Mushkilul Asar, V:6, P:210, P,
Mu'assasa tur Risala

^{١٠} سورة النساء: ١١٤

Al-Quran, 4: 114

^{١١} المعجم الأوسط (٢ / ٢٤٤) لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى:
٣٤٠هـ) دار الحرمين - القاهرة.

Al-Shami, Suleman Bin Ahmad, Al-Mu'jam ul Ausat, V:2, P:264, P, Darul
Harmain

^{١٢} سورة آل عمران: ٤١

Al-Quran, 3:61

^{١٣} سنن النسائي (٨ / ١١٦) لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) مكتب
المطبوعات الإسلامية - حلب.

Al-Nasaa'e, Ahmad Bin Shoaib, Al-Sunan, V:8, P:116, P, Almatbo'at Al-
Islamia, Halb

^{١٤} الأربعين (ص: ١١٩) لحجة الإسلام أبي حامد محمد الغزالي ط: دارالقلم، دمشق.

Al-Ghazali, Abu Hamid Muhammad, Al-Arbaeen, Page:119, P,Darul Qalam,
Demosque

^{١٥} حاشية ابن عابدين (٣ / ٧٥) كتاب النكاح، مطلب في فرق النكاح- ايچ ايم سعيد كراتشي-

Al-Shami, Ibne Abideen, Raddul Muhtar, V:3, P:75, P,H.M. Saeed,
Karachi

^{١٦} سنن ابن ماجه ت: الأرنؤوط (٥ / ٣٢٠) لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ) ط: دار الرسالة
العالمية.

Al-Kazveeni, Muhammad Bin Yazeed, Al-Sunan, V:5, P:320, P,Dar Al- Risala

^{١٧} سنن أبي داود ت الأرنؤوط (٧ / ٢٣٧) لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو
الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) دار الرسالة العالمية، بيروت.

Nasaa'e, Ahmad Bin Shoaib, Al-Sunan, V:7, P:237, P, Dar Al- Risala

^{١٨} سورة الحجرات: ١٢

Al-Quran, 49:12

^{١٩} روح المعاني (١٥٨ / ٢٦) لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) دار إحياء التراث

العربي - بيروت

Al-Aalosi, Mahmood Bin Abdullah, Rooh ul Ma'ani, V:26, P:158, Dar

Ihya ut Turas Al-abrbi, Beruite

^{٢٠} الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم (٣٦ / ٤) ل محمد بن فتوح الحميدي دار النشر، بيروت-

Al-Hameedi, Muhammad Bin Futooh, Al-Jam'o Bain Al-Saheehain, V:4,

P:36, Beruite

^{٢١} سورة النساء: ١٤٨

Al-Quran, 4:148

^{٢٢} الأربعين (ص: ١٢٣) لحجة الإسلام أبي حامد محمد الغزالي ط: دارالقلم، دمشق-

Al-Ghazali, Abu Hamid Muhammad, Al-Arbaeen, Page:123, P,Darul Qalam,

Demosque